القضايا المعرفية في سورة نوح عليه السلام

Cognitive issues in Surat Noah, peace be upon him

إعداد

حمود مرزوق دغيم الرشيدي

معلم في دار القرآن بوزارة الأوقاف الكويتية

باحث في الدكتوراه في قسم الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم

Prepared by

Hammoud Marzouq Daghim Al-Rashidi

A teacher at Dar Al-Qur'an in the Kuwaiti Ministry of Endowments

Doctoral researcher in the Department of Islamic Philosophy

at Dar Al Uloom College

@gmail.com 078aboabdallah

مستلخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة موضوعاً من الموضوعات المهمة، وهو القضايا المعرفية في سورة نوح عليه السلام وتضمن البحث خمسة الأول: تقرير عن سورة نوح، والثاني القضايا المعرفية في القرآن الكريم، والثالث الدلائل النقلية التي في سورة نوح، والرابع: الدلائل الفطرية، والخامس : الدلائل العقلية، والخاتمة. منهجية البحث: منهج استقرائي .

الكلمات المفتاحية: (سورة- نوح عليه السلام-القضايا- المعرفية- الدلائل الفطرية- الدلائل العقلية).

Study summary:

This study dealt with one of the important topics ,which is the cognitive issues in Surat Nuh ,peace be upon him .The research included five topics :the first :a report on Surat Nuh ,the second the cognitive issues in the Holy Qur'an ,the third the transmissional evidence in Surat Nuh ,the fourth :the innate evidence ,and the fifth :the rational evidence. And the conclusion .Research methodology :inductive approach

Keywords: (Surat - Noah ,peace be upon him - issues - cognitive - innate evidence -mental evidence.)

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ،ونستغفره ،ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الله فهو المهتدي ،ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

إن سورة نوح - عليه السلام - تحدثت عن دعوة نبي من أولي العزم من الرسل، أرسله الله إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان وإخلاص العبادة الله وحده، وترك الشرك والآلهة المصطنعة، وأن يطيعوا رسولهم فيما جاءهم به من عند الله، وأن يتقوا الله في سائر أعمالهم، ثم دعاهم إلى النظر في خلق السماوات والأرض والبحار والليل والنهار والشمس والقمر، فهي آيات كونية تدل على قدرة الواحد القهار، ثم النظر إلى خلق الإنسان، وأنه ينشأ من الأرض كما ينشأ النبات، وأن الأرض مسخرة له يتصرف فيها كما يشاء، وبما يحقق مصلحة الناس(١).

أهمية البحث:

- تبرز **أهمية البحث** من خلال أن نوحاً عليه السلام كان يعدّ الأب الثاني للبشرية بعد حلول الطوفان على الرافضين لدعوته إلى توحيد الله تعالى من قومه، والمنكرين لنبوته عليه السلام، فقد ارتأيت في هذا الإطار بالذات أن أخص بالبحث (القضايا المعرفية في سورة نوح عليه السلام)، محاولاً بذل الجهد في تجلية القضايا المعرفية.

منهجية البحث:

منهج استقرائي .

خطة البحث:

المقدمة.

المبحث الأول: تقرير عن سورة نوح: تحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول: التعريف بنوح عليه السلام.

(١) أصول الدعوة الإسلامية في سورة نوح، زهد، عصام، (٢).

المطلب الثاني: سبب التسمية وعدد آياتها.
المطلب الثالث: مقاصد السورة.
المبحث الثاني: القضايا المعرفية في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: الدلائل النقلية التي في سورة نوح: وفيه ثلاث مطالب:
المطلب الأول: الوحي
المطلب الثاني: ضرورة ارسال الرسل
المطلب الثالث: طبيعة النبوة أو الوحي
المبحث الرابع: الدلائل الفطرية: فيه مطلبان:
المطلب الأول: فطرية وجود الله.
المطلب الثاني: فطرية معرفة الله وتوحيده.
المبحث الخامس : الدلائل العقلية: وفيه ثلاث مطالب:
المطلب الأول: دليل الخلق والاختراع.
المطلب الثاني: دليل العناية.
المطلب الثالث: دليل التسخير والتدبير.
الخاتمة.
المراجع والمصادر.

المبحث الأول

تقرير عن سورة نوح

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: التعريف بنوح عليه السلام:

نوحٌ من أعظم أنبياء الله تعالى، وهو من أولي العزم من الرسل الذين ذكرهم الله تعالى مجتمعين، في موضعين من القرآن العظيم:

أحدهما: قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾، [سورة الشورى: الآية ١٣].

الموضع الآخر: قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾، [سورة الأحزاب: الآية ٧].

وقد احتفى القرآن العظيم بذكر نوحٍ، حتى إنه ذكره ثلاثًا وأربعين مرة, في ثمانٍ وعشرين سورةً، وأفرد له سورةً كاملة، هي هذه السورة التي تحمل اسمه.

ونوحٌ هو أول أنبياء الله، كما أنه أول المرسلين، ويدل على أولية النبوة قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾، [سورة النساء: الآية ١٦٣]، فجميع الأنبياء جاءوا بعده[١].

المطلب الثاني: سبب التسمية وعدد آياتها:

قال ابن عاشور: (وبِهَذَا الِاسْمِ سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَتَرْجَمَهَا الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «صَحِيحِهِ» بِتَرْجَمَةِ «سُورَةِ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا». وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ الشَّائِعَ فِي كَلَامِ السَّلَفِ وَلَمْ يُتَرْجِمْ لَهَا التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ». وَهِيَ مَكِّيَّة بِالِاتِّفَاقِ.

(١) تفسير سورة نوح، القاضي، أحمد، الموقع الإلكتروني: العقيدة والحياة، https://www.al-aqidah.com/art/.

وَقد عدت الثَّالِثَةَ وَالسَّبْعِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ نُزُولِ أَرْبَعِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ وَقَبْلَ سُورَةِ الطُّورِ.

وَعَدَّ الْعَادُّونَ بِالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ آيَهَا ثَلَاثِينَ آيَةً، وَعَدَّهَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَالشَّامِ تِسْعًا وَعِشْرِينَ آيَةً، وَعَدَّهَا أهل الْكُوفَة ثمانا وَعِشْرِينَ آيَةً[١].

المطلب الثالث: مقاصد السورة:

مقصد السورة هو إنذار الناس بشتى الطرق (والوسائل والأساليب) بأنهم يجب أن يعبدوا الله وحده ويتقوه ويطيعوا رسوله. فإن هم فعلوا فتحت كل أبواب الخير عليهم في الدنيا ونجوا من العذاب الأليم، وإن عصوا ضاقت عليهم الدنيا ثم أهلكوا ثم أدخلوا النار في الآخرة. لكن أكثرهم لسوء الحظ أعرضوا وعصوا وضلّوا وأضلّوا فاستحقوا العذاب في الدنيا والآخرة.

قال البقاعي: مقصودها الدلالة على تمام القدرة على ما أنذر به آخر {سأل} من إهلاك المنذرين وتبديل خير منهم، ومن القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به وهم عنه معرضون وبه مكذبون وبه لا هون، وتسميتها بنوح عليه السلام أدل ما فيها على ذلك، فإن أمره في إهلاك قومه بسبب تكذيبهم له في ذلك مشهور[٢].

المبحث الثاني :القضايا المعرفية في القرآن الكريم.

إن دلالات المعرفة في القرآن الكريم كثيرة متنوعة، فالقرآن الكريم هو مصدر المعرفة وهو متميز بهذه المصدرية، عن كل منهج، ولا وجه للقاء بينه وبين منهج آخر، فضلا عن أنه لا وجه للمقارنة الحقيقية بينه وبين مذهب آخر، إذ المقارنة على الحقيقية تقتضي التساوي، في الأساس، ولا أساس للتساوي بين منهج رباني ومنهج بشري، فالقرآن كتاب الله سبحانه، الذي أنزله على عبده محمد ﷺ ليكون للناس في الأرض كلها، عقيدة وشريعة ونظام حياة، وليكون بديلا عن كل ما تحمله البشرية من معارف وأوضاع، لتعود إلى المنهج الجديد فتتخذه مصدرا للمعرفة، وموضوعا لها ومقياسا لكل ما تعرفه أو تسمح لها أن تعرفه[٣].

وقال الدكتور بليل عبدالكريم: (مصادر المعرفة في النِّظام المعرفي القرآني مصدران متكاملان متآزران هما:

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، (٢٩/ ١٨٥).
(٢) الدرر في تناسب السور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (٤٤٨/٢٠).
(٣) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الكردي، راجح عبد الحميد، مكتبة المؤيد، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص٤٢٧.

١. الوحي: (الآيات المتلوة، وسنة الأنبياء، والرُّؤيا، والإلهام، والحدس).
٢. الكون: (الآيات المخلوقة، الآفاق، الأنفس، قصص الأولين، أخبار التاريخ والحاضر).
وطرق اكتساب المعرفة من كليهما هي العقل والإحساس لا سبيلَ بغيرهما.

المبحث الثالث: الدلائل النقلية .

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الوحي وضرورته:

الشاهد من السورة، قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۘ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ ، [سورة نوح: الآيات ١- ٤].

فالوحي إحدى وسائل المعرفة الخاصة بالغيبيات، فإذا كان عالم الشهادة له وسائله المعرفية من الحواس الخمس والعقل والتجربة، فإن العالم الغيبي له وسيلته أيضا وهي **الوحي**.

١. والوحي في **اللغة**: هو الإعلام الخفي، وقد يضيف البعض قيدا إلى ذلك فيقول: هو الإعلام الخفي السريع»[(١)]

٢. والوحي **شرعا**: هو ما أوحاه الله عز وجل إلى أنبيائه ورسله من الشرع.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: المعرفة المكتسبة من الوحي معرفة يقينية مطلقة ذلك أن الوحي بصفته جزءا من علم الله له ما لهذه الصفة من كونها حقيقة مطلقة غير محدودة، ودلالة الوحي في إفادة المعرفة الدينية دلالة شرعية سمعية وعقلية[(٢)].

المطلب الثاني: إرسال الرسل:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾، [سورة نوح: الآيات ٥- ٩].

(١) الوحي والإنسان - قراءة معرفية، الجليند، محمد السيد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ت)، ص٤٩.
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، (٤٦٥/٦).

قال ابن عثيمين: (لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضاه ويحبه، وكذلك لا يستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها؛ إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده؛ كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح الخلق وإقامة الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾، [سورة النساء: الآية ١٦٥][(١)].

وقد جاء في القرآن بيان **إمكان الإرسال عقلاً**، بل ضرورته واضطرار الناس إليه، وأن حاجتهم إليه أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والهواء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (أن إرسال رسول من البشر يبلغهم رسالات ربهم ويهديهم إلى صراط مستقيم أبلغ في قدرة الرب ورحمته بعباده وإحسانه إليهم وأعظم إثباتاً للكمال من كون ذلك غير ممكن له، ومن امتناعه عن فعله)[(٢)].

والقرآن الكريم يركز على **طبيعة النبوة أو** الوحي، حيث يتنزل على رسول من جنس المدعوين، يدرأ الشبهات التي يمكن أن تثار فيما لو أن الرسول من غير جنسهم. وكي يكون البلاغ أكبر أثرا، وأقوى حجة. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠٩﴾، [سورة يوسف: الآية ١٠٩].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ٢٠﴾، [سورة الفرقان: الآية ٢٠].

إذا كانت طبيعة الشيء ما يميزه عن غيره ؛ فإن طبيعة الوحي أنه يتعامل مع الإنسان متميزا عن المناهج البشرية والقوانين الوضعية كافة، فسمة الواقعية تقتضي أن يتعامل الإنسان (النبي) مع الإنسان (المدعو) بلغته، وطبيعته، وسمات الشخصية الإنسانية المشتركة، كي يصل خطاب الوحي إلى المدعو ناصعا أبلج[(٣)].

(١) فتاوى ابن عثيمين، ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، دار الوطن - دار الثريا، ١٤١٣هـ، (١٣٤/٤).
(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، (١٠ /٢٤).
(٣) نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، الدغشي، أحمد محمد حسين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار الفكر، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٣٣٤.

المبحث الرابع: الدلائل الفطرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: فطرية معرفة الله وتوحيده:

المراد: أن كل إنسان يولد على صفة تقتضي إقراره بأن له خالقا مدبراً، وتستوجب معرفته إياه، وتألهه له.

وهذه الصفة ذاتها هو القوة المغروزة في الإنسان، التي تقتضي اعتقاده للحق دون الباطل، وإرادته للنافع دون الضار، وإذا كان قد علم بالبراهين اليقينية القاطعة أن وجود الخالق هو أعظم الحقائق، وأن معرفته والتأله له أعظم المنافع، فإنه يتعين بذلك أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به(١).

ومذهب السلف أن معرفة الله تعالى فطرية ضرورية، لا تتوقف على نظر واستدلال، إلا عند فساد الفطرة بطارئ ما، فعندها تكون نظرية في حق من فسدت فطرته، لكن تُسلك في هذا النظر الطرق الشرعية دون البدعية.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (والمعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطرة السليمة، فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والانسان قد يستغني عنه في حال، ويحتاج إليه في حال)(٢).

ومراد السلف بفطرية المعرفة بالخالق إنما هو المعرفة الإجمالية، أما التفصيلية فلا سبيل إليها سوى الوحي.

المطلب الثاني: دليل الفطرة على وجود الله:

إن من رحمة الله تعالى وحكمته ييسر للناس طرق العلم وأنواع الأدلة بقدر حاجتهم إليها، فليس أمر الناس أحوج إليه من معرفتهم بربهم، فكانت السبل الشرعية المبذولة للدلالة على هذا الأصل العظيم فوق الحصر، وغاية ما يوجد في كلام من تكلم في أدلته إنما هو ذكر لأجناسها وأنواعها، أو أهمها وأشهرها، أو ذكر لوجوه الدلالة التي تنتظم أفرادا كثيرة منها، وربما يذكر وجه منها على أنه دليل واحد، وهو في الحقيقة جنس تحته أدلة لا تحد.

---

(١) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، العريفي، سعود عبد العزيز، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص٢٠٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (٣/٣٠٤).

ويمكننا أن نقول ابتداء: إن كل شيء يدل على وجود الله تعالى؛ إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته سبحانه، وما ثمّ إلا خالق ومخلوق، والمخلوق يدل على خالقه فطرة وبداهة، إذ ما من أثر إلا وله مؤثر، كما اشتهر في قول الاعرابي الذي سئل: كيف عرفت ربك؟ فقال - بفطرته السليمة - البعرة تدل على البعير، والاثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وجبال وبحار وأنهار، أفلا تدل على السميع البصير؟(١).

لا خلاف بين السلف والخلف في أن الإقرار بوجود الله تعالى أصل سابق لكل أصل عقدي، وإنما الخلاف بينهم في طريق حصوله.

وقال الدكتور عبدالله القرني: (والفطرة هي مقتضى الخلقة التي خلق الله الناس عليها، وتستند معرفة حقيقة الفطرة إلى إدراك التوافق والتطابق بين حقيقتها النفسية وحقيقتها الشرعية، لأن العلم بالحقيقة النفسية للفطرة - فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده - هو مقتضى العلم الضروري الذي يجده الإنسان من نفسه، بحيث لا يحتاج في ذلك إلى النظر والاستدلال، وأما العلم بالحقيقة الشرعية للفطرة فهو مقتضى دلالة النصوص على فطرية معرفة الله وتوحيده. وخلق الله وشرعه لا يمكن أن يتناقضا، لأن الخلق خلق الله، والدين دين الله، وكل ما شرعه الله فإنما هو لهداية الإنسان وصلاحه، فلابد أن يوافق فطرته ولا يناقضها، ولهذا كان الأمر بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له أمرا بما يطابق الحقيقة النفسية للفطرة كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، [سورة الروم: الآية ٣٠](٢).

المبحث الخامس: الدلائل العقلية .

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: دليل الخلق والاختراع:

يراد بهذه الدلالة: ما ظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودة. أي: إيجادها بعد العدم.

ولعل هذه الدلالة أقرب الوجوه وأظهرها، فإن وجود الموجودات بعد العدم، وحدوثها بعد أن لم تكن، يدل بداهة على وجود من أوجدها وأحدثها، وما من شك أن هذه الدلالة قائمة على

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، مطبعة المعاهد، القاهرة، ١٣٤٩هـ-١٩٣١م، ص٨٣.

(٢) المعرفة في الإسلام، القرني، عبدالله بن محمد، مركز الدراسات والبحوث، ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص١٨٢.

العلم بحدوث هذه المخلوقات، وعدم قدمها وأزليتها، بيدَ أن العلم بهذا حاصل بالضرورة، من طريقي الحس والخبر الصادق.

يقول ابن تيمية: (نفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس وبالضرورة، والعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري، لا يحتاج إلى دليل، وذلك معلوم بالحس أو بالضرورة: إما بإخبار يفيد العلم الضروري، أو غير ذلك من العلوم الضرورية)[١].

وليس شرطاً أن يقف كل أحد على حدوث كل شيء حتى يصدق بذلك، بل إن ذلك غير ممكن، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾، [سورة الكهف: الآية ٥١].

أما ما ابتدعه المتكلمون من الاشتغال بإثبات هذه الحقيقة الضرورية، واختراع دليل الجواهر والأعراض للتدليل عليها، فمفارقة واضحة للمنهج القرآني، واستدلال عقيم بالغامض الخفي المشكوك فيه، بل المقطوع ببطلانه، على الواضح الجلي، الذي هو حق لا يخالجه شك[٢].

وقد جاء التنبيه على دلالة الخلق في القرآن في عدة مواضع؛ كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾ ، [سورة الطور: الآية ٣٥- ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾، [سورة مريم: الآية ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ ، [سورة مريم: الآية ٩].

وكذلك سائر الآيات التي تذكر الخلق، وتتحدث عن حدوث الذوات وصفاتها، فكلها تشير إلى هذه الدلالة، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ [سورة النور: الآية ٤٣].

وكقوله في سورة نوح عليه السلام: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩﴾ [سورة نوح: الآية ١٥- ١٩].

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (٢١٩/٧)
(٢) الأدلة العقلية النقلية على أصو الاعتقاد، العريفي، ص٢٢٦.

المطلب الثاني: دليل العناية:

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ ، [سورة نوح: الآيتين ١٠- ١١].

ويراد بالعناية ما نشهده ونحس به من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عموماً، وبالإنسان على وجه الخصوص، والذي يتجلى فيما نراه وندركه من موافقه هذه الموجودات للإنسان أتم الموافقة، وكذلك في موافقة هذه الموجودات بعضها لبعض، وذلك لا يكون قطعاً إلا من قِبل فاعل قاصد لذلك مريد(١).

وإن الاستدلال بخلق الانسان قد لقي عناية خاصة وبالغة في القرآن، قد لا تكون لغيره من أنواع الاستدلال بالمخلوق، التي قد تفوق خلق الانسان قدراً وأهمية، ولعل من أبلغ الأدلة على ذلك: أنه ذُكر في أول آية أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [سورة العلق، الآيتين ١- ٢]، فذكر الخلق مطلقاً، ثم كان التخصيص بالذكر من نصيب خلق الانسان(٢). قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾،[سورة نوح: الآيتين ١٣- ١٤].

المطلب الثالث: دليل التسخير والتدبير:

إذا نظرنا إلى هذا العالم وجدناه بجميع أجزائه مقهوراً مسيرا مدبراً مسخراً، تظهر فيه آثار القهر والاستعلاء لمسيّره، وتتجلى فيه شواهد القدرة لخاضعه ومذلّه، بما لا يدع مجالا للشك في وجود مدبر يدبره، وقدير يمسك بمقاليده، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢﴾،[سورة الشورى: الآية ١٢].

وقد جاء ضمن الأسئلة التقريرية التي أمر الله نبيه ﷺ أن يحتج فيها على الكفار: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ ،[سورة يونس: الآية ٣١]، حيث إن الحس والفطرة يشهدان بضرورة مدبر لهذا العالم، فكان إقرار الكفار بذلك.

وإذا تأملنا الآيات القرآنية المنبهة إلى هذه الدلالة وجدنا بعضها يشير إلى التسخير المطلق للكائنات؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٦/ ٢٦٢).

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، (٧٧٨/٥).

عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾، [فاطر: ١٤] [سورة فاطر: الآية ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ ، [سورة البقرة: الآية ١٦٤].

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث بعون الله وتوفيقه فإنه يمكن إجمال أهم النتائج:

١. أن الوحي إحدى وسائل المعرفة الخاصة بالغيبيات.

٢. فطرية معرفة الله تعالى، وكونها ضرورية لا تحتاج إلى استدلال.

٣. فطرية توحيد الله تعالى، وأن ذلك هو مقتضى النصوص الواردة في الفطرة.

٤. الاستدلال العقلي على وجود الله تعالى بدليل الخلق والاختراع , والعناية والتسخير والتدبير.

قائمة المراجع والمصادر

١. تفسير سورة نوح، القاضي، أحمد، الموقع الإلكتروني: العقيدة والحياء، https://www./al-aqidah.com/art.

٢. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٣. الدرر في تناسب السور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الكردي، راجح عبد الحميد، مكتبة المؤيد، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٥. الوحي والإنسان - قراءة معرفية، الجليند، محمد السيد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ت).

٦. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٧. فتاوى ابن عثيمين، ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، دار الوطن - دار الثريا، ١٤١٣هـ.

٨. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٩. نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، الدغشي، أحمد محمد حسين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار الفكر، ط٢، ٢٠٠٤م.

١٠. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، العريفي، سعود عبد العزيز، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

١١. ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، مطبعة المعاهد، القاهرة، ١٣٤٩هـ- ١٩٣١م.

١٢. المعرفة في الإسلام، القرني، عبدالله بن محمد، مركز الدراسات والبحوث، ط٢،

١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٣. أضواء البيان، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.